

الفصل العاشر

علاقات الارتباط المتغيرة عند الأزواج

«بعد ولادة الطفل تغيرت مشاعري لقد شعرت أننا عائلة
وبأن الحب قد توزع الآن على ثلاثة أشخاص».

إن الموضوع الأساس لهذا الكتاب هو التأكيد على أهمية علاقات الارتباط؛ أي تلك العلاقات الحميمة التي تؤدي دوراً خاصاً في تلبية الحاجة إلى الراحة وإلى الشعور بالأمان العاطفي. في هذا الفصل، سوف تكتشف طبيعة علاقات الارتباط عند الأزواج على طول فترة الانتقال إلى مرحلة الأبوة أو الأمومة. سنركز على موضوعين أساسيين لهما علاقة بروابط الارتباط:

أولاً؛ سوف ندرس أهمية علاقات الارتباط مع الزوج الآخر والأصدقاء وأفراد العائلة وسنقارن بين المجموعتين من الأزواج خلال مراحل الدراسة الثلاث.

ثانياً، بالنسبة للأزواج في مجموعة الانتقال سوف ندرس تطور شعور الآباء والأمهات الجدد بالارتباط مع أطفالهم.

العلاقات مع الأزواج والأصدقاء وأفراد العائلة

كما لاحظنا في الفصل الثاني فإنَّ هناك إدراكاً، متتامياً من قبل الباحثين في العلاقات إلى أنَّ الحاجة إلى الراحة وإلى الشعور بالأمان هي أمرٌ مشترك بين جميع البشر وثابت في كلِّ مراحل الحياة. بعبارةٍ أخرى إنَّ كلاً من الأطفال والكبار لديهم «شخصيات ارتباط» يؤدون دوراً خاصاً في حياتهم. لهذا السبب طلبنا من الأزواج أن يسمُّوا شخصيات الارتباط الخاصة بهم (أو أهم الأشخاص في حياتهم) في كل تقييم من التقييمات الثلاثة التي أجريناها. لقد كنَّا مهتمين بمعرفة الأشخاص الذين كانوا يعتبرونهم أساسيين في تلبية حاجاتهم إلى الراحة وإلى الشعور بالأمان العاطفي، وكيف يمكن أن تتغيَّر شبكة الارتباط تلك في أثناء الانتقال إلى مرحلة الأبوة أو الأمومة.

المقياس

لدراسة هذا الموضوع استخدمنا النقاط الموجودة في أسئلة (WHO-TO) اعتماداً على عمل هازان وزيفمان (1994) هذا المقياس يقيِّم الجوانب الأربعة لسلوك الارتباط التي تمَّت مناقشتها في الفصل الثاني: طلب القرب (أن يُريد الاقتراب من شخص معين)، الشدة بسبب الافتراق (الشعور بالانزعاج عند التفكير

بابتعاد شخصٍ ما عنه)، قاعدة الاطمئنان (المشاركة بشكل فاعل بنشاطات ومهام يومية والثقة بالقدرة على الاعتماد على النفس) وواحة الأمان (الرجوع إلى شخص للحصول على الاطمئنان والراحة في أوقات الشدة) إن النقاط التي يتطرق إليها اختبار WHO-TO وسلوكيات الارتباط التي يقيسها هي:

- من الشخص المفضل لديك الذي تفرح معه وترتاح إليه؟ القرب
 من الشخص الذي تلجأ إليه إذا شعرت بالانزعاج من أمر ما. آمن
 من الشخص الذي تعتقد أنه موجود دائماً عندما تحتاج إليه؟ مطمئن
 من الشخص الذي تكره فعلاً أن تباعد عنه؟ الافتراق
 من الشخص الذي تريد أن تتحدث إليه أو تكون معه عندما تنخفض معنوياتك؟ آمن
 من الشخص الذي يمكنك الاعتماد عليه دائماً مطمئن
 من الشخص الذي تفتقده أكثر عندما تسافر لمدة طويلة؟ الافتراق
 من الشخص الذي تحب أن تقضي معه معظم وقتك القرب
 من الشخص الذي تشاقق إلى رؤيته أكثر عندما تكون بعيداً؟ الافتراق
 من الشخص الذي يساعدك عندما تكون بحاجة إلى ذلك؟ مطمئن
 من الشخص الذي تحب أن يكون بقربك دائماً؟ القرب

القرب = طلب القرب

الآمن = واحة الأمان

المطمئن = قاعدة الاطمئنان

الافتراق = الشدة بسبب الافتراق

من الأشخاص الذين ينظر إليهم الأزواج كشخصيات ارتباط

كانت خطوتنا الأولى لفهم شبكة الارتباط عند الأزواج هي ببساطة دراسة كل الإجابات التي قدمها الأزواج عن هذه النقاط

وذلك في المجموعتين وفي أوقات القياس الثلاثة. لقد كانت لدينا 39 إجابة مختلفة مما يُظهر الطيف الواسع من الأشخاص المهمين في حياة هؤلاء الأشخاص. على أي حال هناك أربع إجابات تكررت كثيراً: الزوج، الوالدان، الأصدقاء، وبالنسبة للأزواج في مجموعة الانتقال، الطفل الجديد. (بقية الإجابات غطت مختلف أفراد العائلة كالأخوة والأخوات والأعمام والعمات والجدود وأبناء العم مع بعض الإجابات النادرة مثل «الله» «نفسى» وفي إحدى الحالات «المخدرات»). إحدى الأسئلة التي أردنا الإجابة عنها هي طيف (أو اتساع) شخصيات الارتباط؛ بعبارة أخرى عدد الأشخاص المختلفين الذين يلجأ إليهم الأزواج لطلب الراحة والشعور بالأمان بالنسبة لكلِّ مشارك وفي كل تقييم من التقييمات الثلاثة جمعنا عدد شخصيات الارتباط المختلفة التي تمَّت تسميتها خلال الإجابة عن النقاط الاثنتي عشرة تراوح هذا الرقم من 1 إلى 5 في كل مراحل التقييم.

لقد كان معدّل عدد شخصيات الارتباط التي سمّاها الزوجان في أثناء الإجابة عن الأسئلة بين 1 إلى 2. كما سنناقش لاحقاً هذا العدد المنخفض يعكس النمط المهيمن المكوّن من الاعتماد بشكلٍ أساس على الزوج كشخصيةٍ ارتباط.

في هذا القسم، من أجل المقارنة بين أنماط الإجابة الأساسية التي جاءت من المجموعتين، ركزنا على الارتباط مع الزوج والوالدين والأصدقاء.

في كل تقييم حصلنا على ثلاث درجات من كل مشارك تعكس أهمية هذه «الأهداف» المتعددة من الارتباط. هذه الدرجات كانت ببساطة عدد النقاط على أسئلة (WHO-TO) من بين عدد كلي مقداره (12) حيث سُمِّي كُلُّ هدفٍ بـ «الشخص الأكثر أهمية». هذه المقاييس تعكس الأهمية النسبية لشخصيات الارتباط المختلفة، بعبارة أخرى في هذا السياق، يشير الارتباط إلى أهمية أشخاص معينين في تلبية الحاجة إلى الراحة والأمان أكثر من إشارته إلى مقدار الانزعاج أو القلق الذي تسببه العلاقة.

كان النمط الوحيد الأقوى الذي برز من خلال هذه الدرجات هو الأهمية الأساسية للارتباط بالنسبة لكل من الزوجين بالنسبة لكل من مجموعتي الانتقال والمقارنة وفي كل أوقات القياس تلقى الأزواج العدد الأكبر من النقاط التي تصفهم كشخصيات ارتباط أساسية. في الحقيقة من بين 12 نقطة كان معدل المرات التي وُصِفَ فيها الزوج بأنه «الأكثر أهمية» تراوحت ما بين 8.4 إلى 9.10. هذه النتيجة تدعم بحثاً سابقاً بين الخصائص المميزة التي تصف العلاقات الزوجية. على سبيل المثال أظهر أرغيل وهيندرسون (1985) أن الأزواج يؤدون دوراً مميّزاً في تزويد بعضهم بعضاً بالدعم العاطفي والاهتمامات المشتركة والمكافآت (كالنصيحة والممتلكات والمشاركة في العمل).

بالطبع يمكن تفسير الميل إلى اعتماد الزوج على زوجه في تحقيق الشعور بالأمان على ضوء الالتزام الذي هو أساس عقد الزواج وأيضاً على ضوء أمور عملية كقرب الزوج وتوفره الدائم.

جاء ترتيب الوالدين ثانياً في سلّم الأهمية كشخصيات ارتباط
لقد تمّت تسميتهم من قبل الأزواج كشخصيات ارتباط أساسية
بنسبة أقل مع معدل درجات أقل من 1. كذلك سُمّي الأصدقاء من
قبل بعض الأزواج كشخصيات ارتباط أساسية ولكن بمعدل درجات
قليل جداً (0.3).

هذه النتائج تعكس التطور النموذجي لأنماط الارتباط خلال
حياة الإنسان، كما ذكرنا في الفصل الثاني أثبت بحث سابق
حصول تغييرات منهجية في شبكة الارتباط عند الانتقال من
الطفولة إلى الشباب بما في ذلك التحول التدريجي من الاعتماد
على الوالدين إلى الاعتماد على الأصدقاء (هازان وزيفمان، 1994)
يشمل الأصدقاء المهمون كلاً من الأصدقاء والشركاء العاطفيين
ولكن عندما تتطور علاقة عاطفية ثابتة يصبح الشريك بشكل
متزايد شخصية ارتباط أساسية. في الحقيقة إن هؤلاء الذين
ارتبطوا بعلاقات عاطفية لمدة تزيد عن سنتين يميلون إلى الاعتماد
بشكل كُلي تقريباً على شركائهم للحصول على كل احتياجاتهم
العاطفية.

الاختلافات وفقاً للجنس و المجموعة والوقت

على الرغم من أن الاعتماد على الزوج يبدو أنه القاعدة في
العلاقات الزوجية المستقرّة فإن مدى هذا الاعتماد قد يتأثر
بموامل مثل الجنس وبنية العائلة (مثال، الأزواج دون أولاد مقابل
الأزواج الذين لديهم أولاد).

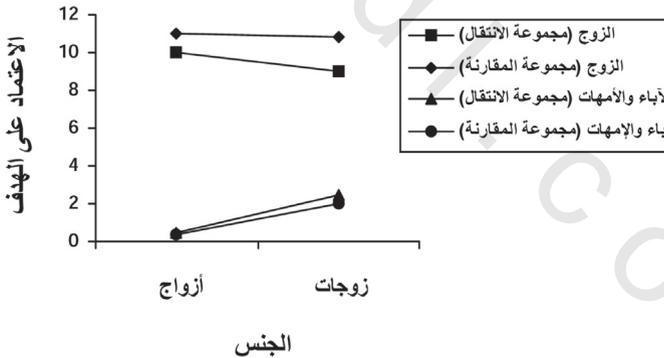
كذلك برز اختلاف في تسمية شخصيات الارتباط بحسب الجنس فعلى الرغم من أن الأزواج والزوجات تساووا في ترتيب شخصيات الارتباط (الزوج ثم الوالدان ثم الأصدقاء) إلا أن الأزواج سمّوا زوجاتهم كشخصياتٍ ارتباطٍ بشكلٍ أكثر تواتراً بقليل مما فعلت زوجاتهم كذلك سمّوا آباءهم وأصدقاءهم كشخصياتٍ ارتباطٍ بشكلٍ أقل بقليل مما فعلت زوجاتهم.

هذا الاختلاف وفقاً للجنس يناسب ما توصل إليه بحثٌ سابق. على سبيل المثال، اقترح العديد من الباحثين أن الصداقات عند النساء أكثر حميمية من الصداقات عند الرجال فيما يتعلق بأبعاد كالروح بالأمر الشخصية وطلب الدعم العاطفي. إضافة إلى ذلك، هناك بعض الأدلة على أن النساء المتزوجات تظل علاقاتهن مع آبائهن وأمتهن أقوى مما تظلُّ عليه علاقة الرجال المتزوجين مع آبائهم وأمتهن ويشعُرُنَّ بالدعم من قبل آبائهن وأمتهن أكثر مما يشعر الرجال (نولر وفيني).

بالنسبة للرجال المتزوجين فإن الزوجة هي غالباً الجهة الوحيدة التي يضع فيها ثقته ويعدها مصدراً للدعم.

هناك نتيجة أخرى مثيرة للاهتمام لها علاقة بأنماط شخصيات الارتباط عند المجموعتين. لقد حدثت الأزواج في كل من مجموعتي الانتقال والمقارنة عن أنماط متشابهة من علاقات الارتباط عند التقييمين الأول والثاني ولكن في نهاية الدراسة سمّى الآباء والأمهات الجدد أزواجهم وأصدقاءهم كشخصيات

ارتباط بتواتر أقل وسموا آباءهم وأمهاتهم بتواتر أكثر مما فعل الأزواج في مجموعة المقارنة. هذا الاختلاف بين المجموعتين كان أكثر وضوحاً عند الزوجات كما يُظهر الشكل 10-1 (لأنّ الأصدقاء تمّت تسميتهم بنسب منخفضة جداً فإن النتائج المتعلقة بالأزواج والآباء والأمهات هي التي تم رسمها فقط). بما أن هذه الاختلافات وفقاً للمجموعة ظهرت فقط في نهاية التقسيم فلي مدهشاً أنّ المجموعتين من الأزواج أظهرتا أنماطاً مختلفة من التغيير خلال فترة الدراسة. في الحقيقة أجاب الأزواج في مجموعة المقارنة إجابات متشابهة على نقاط الـ WHO-TO في كل المرات الثلاث.

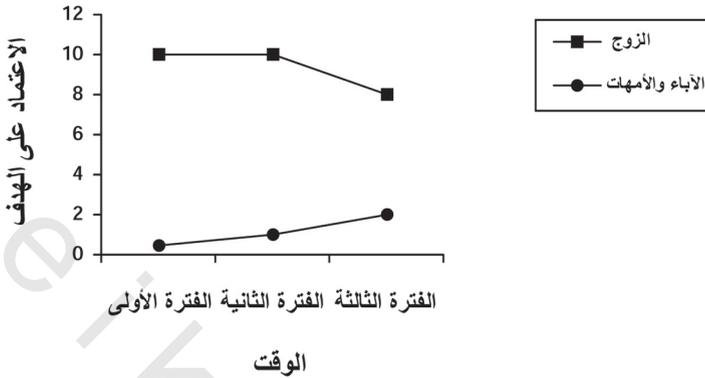


الشكل 10-1 تسمية الآباء والأمهات والأزواج كشخصيات ارتباط في

نهاية الدراسة وفقاً للمجموعة والجنس

بالمقابل فإن الأزواج في مجموعة الانتقال أظهرت تغييرات ضئيلة ولكن واضحة في تسميتهم لشخصيات الارتباط: لقد قلل الأزواج وخصوصاً الزوجات في مجموعة الانتقال من تسميتهم لأزواجهم كشخصيات ارتباط أثناء تقدم الدراسة في حين زادت الزوجات من تسميتهن للأصدقاء والآباء والأمهات كشخصيات ارتباط هذه التغييرات كانت أكثر وضوحاً بين التقيمين الثاني والثالث؛ بعبارة أخرى، لقد حدثت بعد مضي وقت على وجود الطفل في المنزل.

إن التغييرات في وصف الزوجات في مجموعة الانتقال لشخصيات الارتباط موضحة في الشكل 10-2 (مرة أخرى لأن الأصدقاء تمت تسميتهم بنسب منخفضة جداً فإن النتائج المتعلقة بالأزواج والآباء والأمهات هي التي تم رسمها فقط) لأن هذه التغييرات كانت مقتصرة فقط على مجموعة الانتقال يمكننا أن نقول بثقة أنها مرتبطة بتجربة الأبوة أو الأمومة أكثر من ارتباطها بميل عام في العلاقات الزوجية. إن التغييرات في شبكة الارتباط يمكن فهمها على ضوء التركيز الكبير الذي يمارسه الزوجات في بذل الوقت والجهد خلال الشهور الأولى من قدوم الطفل الأول. إن قدوم الطفل غالباً ما يزيد من التواصل والمشاركة بين الآباء والأمهات الجدد وآبائهم وأمهاتهم أي أن الجدود والجندات يمكن أن يكونوا مصدراً مهماً جداً للنصيحة والدعم ومعظمهم يرغب في أن يشارك بشكل فاعل في رعاية الطفل الجديد.



الشكل 10-2 تسمية الزوجات في مجموعة الانتقال لأزواجهن وآبائهن وأمهاتهن كشخصيات ارتباط في كل فترة من فترات التقييم

في الوقت نفسه، كما رأينا في الفصل السادس؛ يشيب المولود الجديد قيوداً لا بأس بها على نمط حياة والديه. ليس أمراً مفاجئاً أن تؤثر تلك التغييرات على الأمهات أكثر من تأثيرها على الآباء، لأن الأمهات في هذه العينة هنّ الراعيات الأساسيات للطفل. كما سنناقش لاحقاً، فإن النسبة المنخفضة لتسمية الزوج كشخصية ارتباط غالباً ما تعكس بروز الطفل كهدف لسلوك الارتباط.

الارتباط بالمولود

في هذه الدراسة لم نضمّن أيّ مقياس مباشر للارتباط بين الوالدين والطفل. (هناك مقياس عن طريق الملاحظة يسمّى بالموقف الغريب وهو يُستخدم بشكل شائع لتقييم الشعور بالأمان بين الطفل ومن يقوم برعايته، كما ناقشنا في الفصل الثاني؛ هذا

المقياس معقداً جداً وليس مناسباً للأطفال الصغار جداً) إضافة إلى ذلك استخدمنا طريقتين مختلفتين تماماً لتقييم الشعور بالارتباط بين الوالدين والطفل.

أولاً، بحثنا في استجابات الأزواج في مجموعة الانتقال على أسئلة الـ WHO -TO وحددنا عدد النقاط التي تمت فيها تسمية الطفل بوصفه «الشخص الأكثر أهمية» هذا الإجراء يُعطي مؤشراً على أهمية الطفل بصفته شخصية ارتباط.

ثانياً، درسنا المقابلات التي أجريناها بعد ستة أسابيع من ولادة الطفل وركّزنا هذه المرة على تعليقات الأزواج على استجاباتهم لأطفالهم (أي المشاركة العاطفية والاستجابة لحاجات الطفل وإشاراته). هذا التركيز يوافق ما توصل إليه بحث سابق أظهر أن استجابة الوالدين هي أمر مهم جداً في نوعية الارتباط بين الطفل ووالديه.

باستخدام هذه الطرق كنّا مهتمين باكتشاف التنوع في استجابات الآباء والأمهات الجدد لأطفالهم وكذلك معرفة تطور شعورهم بالارتباط مع أطفالهم.

أهمية الطفل بصفته شخصية ارتباط

قبل أن ندرس نتائج مقياس الـ WHO-TO من المهم أن نستعرض ما يقوم به هذا المقياس. إنه يحدّد شخصيات الارتباط كأكثر الأشخاص أهميةً بوصفها تُعطي الشخص شعوراً بالراحة والأمان بعبارة أخرى، التركيز هنا على العلاقة التي تجعل الكبير

وليس الطفل يشعر بالأمان. إذن عدم تسمية الطفل في هذا المقياس لا يعني أنّ الزوجين لا يرحبان به أو أنهما لا يقدمان له الرعاية المناسبة لكنّه يعني أنّهما لا يعتبران الطفل مصدراً أساسياً لشعورهما بالأمان.

التقييم الأولي: في بداية الدراسة كان الأزواج الذين أكملوا هذا المقياس في الفترة التي كانت فيها الزوجات في النصف الثاني من الحمل. في هذه المرحلة ووفقاً لتعريفنا لشخصية الارتباط توقعنا أن نجد مستويات منخفضة جداً من الارتباط بالطفل. مرة أخرى، هذا لا يعني أن الوالدين لم يكونا مهتمين بطفلها وبسلامته.

في الحقيقة يشير بحثٌ سابقٌ إلى أن بعض الأمهات والآباء يشعرون بارتباط قوي مع أطفالهم قبل ولادتهم أي أنهم يشعرون بعواطف قوية تجاههم وينشغلون كثيراً بالتفكير فيهم (كوندرون، 1993).

بالنسبة إلى نقاط الـ WHO-TO من المحتمل أن الوالدين قد يشعران ببعض القلق من فقد الطفل أو الافتراق عنه (الشدة بسبب الافتراق) على أي حال من المستبعد جداً أن يشعرا بالاعتماد على طفلها الذي لم يولد بعد (قاعدة الاطمئنان) أو أن يشاركاه مخاوفهما (واحة الأمان).

إنّ الإجابات عن الأسئلة تؤكد هذه التوقعات. خمسة فقط من الأزواج سمّوا أطفالهم كشخصيات ارتباط أثناء إجاباتهم عن نقاط WHO-TO في التقييم الأول. من المثير للاهتمام، أن هذه المجموعة الصغيرة من الأزواج ضمت زوجة واحدة فقط سمّت

طفلها شخصية ارتباط في اثنتين من النقاط الاثنتي عشرة الواردة في الـ WHO-TO أربعة من الآباء سمّوا أطفالهم على أنهم «الأشخاص الأكثر أهمية» في نقطة أو نقطتين فقط. كل هذه الإجابات الإيجابية كانت عن النقاط التي تقيّم الشدة التي يسببها الافتراق (انظر إلى الجدول 1-10 لمعرفة عدد الزوجات والأزواج الذين سمّوا أطفالهم إجابة على النقاط المتعلقة بالشدة التي يسببها الافتراق وطلب القرب في كل تقييم) بعبارة أخرى، إن بعض الأزواج كانوا قد بدؤوا يشعرون بالشدة النفسية الشديدة نتيجةً لتفكيرهم باحتمال فقد الطفل أو الابتعاد عنه.

التقييم الثاني: بعد ستة أسابيع من الولادة كان الطفل قد أخذ موقِعاً أكثر أهمية في شبكة الارتباط. على الرغم من أن حوالي نصف الأمهات الجديديات لم يسمّين أطفالهنّ شخصية ارتباط إلا أنّ 37 منهنّ سمّين أطفالهنّ شخصية ارتباط في نقطة إلى ثلاث نقاط وإحدى الأمهات سمّت طفلها شخصية ارتباط في سبع نقاط.

كان الآباء الجدد إلى حدٍّ ما أقل من الأمهات في تسمية أطفالهم شخصيات ارتباط.

الجدول 1-10 عدد الزوجات والأزواج الذين ذكروا أطفالهم عندما سئلوا عن الشدة التي يسببها الافتراق وطلب القرب عند كل تقييم

النقطة	التقييم الأول		التقييم الثاني		التقييم الثالث	
	زوجات	أزواج	زوجات	أزواج	زوجات	أزواج
الشدة بسبب الافتراق						
يكره الابتعاد عنه	0	2	29	15	38	26
يفتقده أكثر من غيره	1	2	29	16	28	45
يشناق إليه أكثر	1	2	30	21	43	34
طلب القرب						
يمرح معه	0	0	2	3	10	5
يحب أن يقضي وقتاً معه	0	0	10	13	17	10
يحب أن يكون قريباً منه	0	0	0	0	0	0

حوالي ثلثي الآباء لم يسمّوا أطفالهم على الإطلاق و16 منهم سمّوا أطفالهم شخصيات ارتباط في نقطة إلى ثلاث نقاط وتسعة منهم سمّوا أطفالهم شخصيات ارتباط في أربعة إلى خمسة نقاط. هذا الاختلاف البسيط بين الجنسين كان ظاهراً في متوسط عدد النقاط التي سمّي فيها الطفل بوصفه (الأكثر أهمية).

هذه الدرجات كانت 1.11 بالنسبة للزوجات و0.73 بالنسبة للأزواج. على الرغم من أن هذه الدرجات قد تبدو منخفضة غير أنه من المهم أن نلاحظ أنه حتى في هذه المرحلة المبكرة جداً من حياة الطفل فقد كان يُنظر إليه على أنه شخصية ارتباط أكثر أهمية من الوالدين والأصدقاء.

في الوقت نفسه، إن معظم تسميات الأطفال شخصيات ارتباط ما زالت تعكس التركيز على الشدة التي يسببها الافتراق (انظر إلى الجدول 10-1) بعبارة أخرى، بعد ستة أسابيع من الولادة فإن العديد من الآباء والأمهات ما زالوا يرون الطفل على أنه الشخص الذي سيفتقدونه أكثر من غيره ويكرهون الابتعاد عنه أكثر من غيره.

على أي حال، فإن طلب القرب قد بدأ أيضاً يبرز بصفته وظيفة من وظائف الاقتراب: إن العديد من الأزواج قالوا: إن الطفل كان الشخص الذي يحبون أن «يقضوا الوقت معه» و«يمرحون معه» أكثر من غيره.

بما أن نصف الأمهات والآباء الجدد تقريباً كانوا قد بدؤوا يفكرون في أطفالهم بصفته شخصيات ارتباط فقد كنا مهتمين بمعرفة فيما إذا كان الشعور بأهمية الطفل بصفته شخصية ارتباط مرتبطةً بنوعية العلاقة الزوجية.

إن الدراسات السابقة عن الروابط بين العلاقات الحميمية المختلفة تشير إلى وجود احتمالين أساسيين بهذا الشأن (نولر، فيني، بيترسون وشيهان، 1995).

أولاً، إن استقبال الطفل شخصية ارتباط يمكن أن يكون مرتبطاً بعلاقة زوجية أكثر سعادة وأماناً؛ بعبارة أخرى، إن الزواج الآمن قد يؤدي دوراً في تقوية مشاعر الارتباط في الطفل.

الاحتمال الآخر هو أن استقبال الطفل شخصية ارتباط قد يكون مرتبطاً بزواج أقل سعادة وأماناً؛ أي أن بعض الأزواج قد يلجؤون إلى الطفل لتلبية حاجات الارتباط عندهم وذلك للتعويض عن العلاقة الضعيفة أو المضطربة مع الزوج الآخر.

للإجابة عن هذا السؤال ربطنا بين عدد من النقاط التي تمت تسمية الطفل فيها بوصفه (الشخص الأكثر أهمية) مع ثلاثة مقاييس أساسية للعلاقة الزوجية: بُعدي الشعور بالأمان الذي يحققه الارتباط، والقياس الكلي للرضا عن العلاقة الزوجية. إن تسمية الآباء للطفل شخصية ارتباط لم تكن مرتبطة بهذه المقاييس. ولكن بالنسبة للأمهات فإن تسمية الطفل شخصية ارتباط كانت مرتبطة بدرجات منخفضة على بُعد الارتباط المتمثل بالقلق الذي تسببه العلاقة. بشكل مشابه تمكنا من إظهار أن الزوجات اللواتي سمين أطفالهن شخصيات ارتباط في ثلاثة أو أكثر من نقاط من الـ WHO-TO كن بشكل واضح أقل شعوراً بالقلق بسبب العلاقة (بمعدل درجات بلغ 31.33) عن الزوجات اللواتي سمين أطفالهن شخصيات ارتباط في نقطة أو نقطتين (بمعدل 37.04) ومن الزوجات اللواتي لم يسمين أطفالهن على الإطلاق (بمعدل 38.24).

على الرغم من أن تسمية الزوجات لأطفالهن شخصيات ارتباط كان مرتبطاً بمستوى القلق الذي تسببه العلاقة والذي تم قياسه في نفس التقييم إلا أنه لم يكن مرتبطاً بالدرجات الأولية

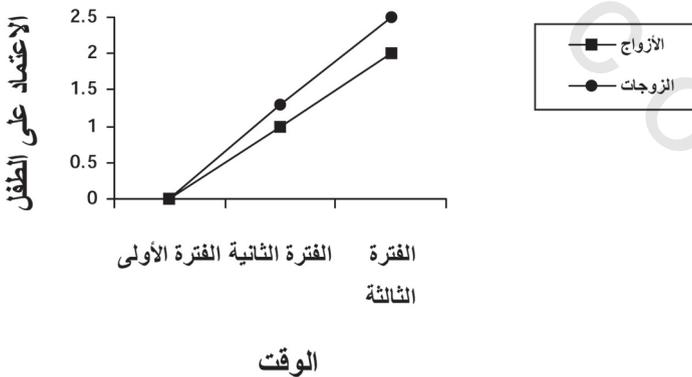
للقلق الذي تسببه العلاقة. لهذا السبب، لم نتمكن من الخروج بأي استنتاج أكيد حول السبب والنتيجة. على أي حال لا يبدو، بالنسبة للزوجات على الأقل، أن شعوراً أكبر بالأمان في العلاقة الزوجية يتماشى مع شعور أقوى بالارتباط مع الطفل. إن الزوجات اللواتي كنَّ واثقات جداً من حُبِّ أزواجهن والتزامهم ربما يشعرون بقلق أقل من تأثير الطفل الجديد على العلاقة الزوجية وبالتالي فإن نمو الشعور بالارتباط مع الطفل غالباً ما يقوِّي «شعور العائلة» العام الذي وصفه العديد من الأزواج خلال المقابلة الثانية (راجع الفصل السادس).

التقييم الثالث: في نهاية الدراسة عندما كان الأطفال في الشهر السادس من العمر استمرت أهمية الطفل بصفته شخصية ارتباط بالارتفاع. على الرغم من أن ربع الزوجات وأكثر من 0.40 من الأزواج ما زالوا لا يسمّون الطفل شخصية ارتباط فإن نصف الأزواج تقريباً سمّوا أطفالهم شخصية ارتباط في نقطة إلى ثلاثة نقاط و0.16 منهم سمّوا أطفالهم شخصية ارتباط في أربعة إلى سبعة نقاط. كما نلاحظ في الشكل 10-3 فإن الاختلاف بين الجنسين في النظر إلى الطفل شخصية ارتباط قد ازداد عن التقييم الثاني.

إنَّ نقاط الـ WHO-TO التي تمَّ السؤال عنها في هذه المرحلة كانت شبيهةً بالنقاط التي تمَّ السؤال عنها بعد الولادة بوقت قصير (راجع الجدول 10-1) بعبارة أخرى، فإن الأزواج ما زالوا يصفون ارتباطهم بالطفل بوصفه الشخص الذي سيفتقدونه إليه أكثر من

غيره ويكرهون أن يبتعدوا عنه أكثر من غيره ويحبون أن يقضوا الوقت معه ويمرحوا معه أكثر من غيره. هذا الارتفاع في معدل الدرجات يعكس العدد المتزايد من الأزواج الذين شعروا بهذه المشاعر أكثر مما يعكس زيادة في التصرفات التي تدلُّ على الارتباط. هذه النتيجة ليست مفاجئة كما لاحظنا سابقاً؛ فمن المناسب والشائع أن يرغب الأزواج في قضاء كثير من الوقت مع أبنائهم ولكن ليس أمراً مناسباً أن يعتبروا أطفالهم أشخاصاً يمكن «أن يعتمدوا عليهم» أو أن يشاركوهم في مشكلاتهم ومخاوفهم. بل إن دور الأمهات والآباء هو أن يزودوا الطفل بصفات الارتباط تلك التي تكون قاعدة الاطمئنان وواحة الأمان.

على أي حال، من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن الأطفال يصبحون بسرعة شخصيات ارتباط بالنسبة للعديد من الأمهات والآباء وفي الحقيقة يقعون في المرتبة الثانية في الأهمية بعد الزوج.



الشكل 3-10 تسمية الأمهات والآباء لأطفالهم شخصيات ارتباط في كل تقييم

الاستجابة للطفل

كما ذكرنا سابقاً، رجعنا أيضاً إلى معلومات المقابلات لنبحث عن أدلة على الارتباط مع الطفل. أثناء قيامنا بهذا الأمر ركزنا على التقارير عن المستويات المختلفة من استجابة الأبوين. أي أننا كنا مهتمين بملاحظات الأبوين عن مشاركتهم العاطفية مع الطفل واستجاباتهم لإشارات الطفل التي تدل على شعوره بالشدة. هذه الملاحظات مهمة لأن العواطف القوية يُنظر إليها على أنها صفة أساسية من صفات روابط الارتباط كما أن محاولات تربية الطفل ورعايته تقع في صميم نظام الارتباط. مرة أخرى من المهم أن نلاحظ أن هذه الملاحظات تعطينا دليلاً غير مباشر على تطور الشعور بالارتباط.

الحمل والاستجابة العاطفية: النقطة الأولى المثيرة للاهتمام
هو أنه في المقابلة الثانية علّقت مجموعة من الأزواج بأن الحمل لم يعطِ أزواجهن الفرصة للشعور بالمشاركة مع الطفل، على سبيل المثال، علّقت إحدى الزوجات: (عندما كانت في الرحم لم يكن يستطيع التمتع بها إلا من الخارج. لأنه، كما تعلم، كنت أنا التي أحملها في أحشائي. لقد كان أمراً رائعاً، لأنني كنت أشعر بركلاتها وكل هذه الأمور. لقد كان دائماً في الخارج ولم يستطع تكوين تلك العلاقة معها. لذلك كما تعلم، أعتقد أن هذه الشهور التسعة هي شهور قيّمة حقاً). هذه الملاحظات تتماشى بشكل جزئي مع مقياس الأسئلة المتعلقة بشخصيات الارتباط (WHO-TO) والتي تشير إلى أن الأزواج يشبهون زوجاتهم في الحديث عن احتمال الفقد والافتراق عن الطفل

في مرحلة ما قبل الولادة. بالمقابل فإن الاستجابات المختلفة على مقياس WHO-TO في التقييم الثاني (أي مدى تسمية الطفل شخصية ارتباط) يتماشى مع الطرق المختلفة التي يتحدث بها الزوجان عن علاقاتهما مع الطفل خلال المقابلة الثانية.

من عدم التواصل إلى المشاركة القوية: عندما وضعنا أفضل وأسوأ خبرات الوالدين المتعلقة بقدوم الطفل الأول (راجع الفصل السادس) لاحظنا أن بعض الأزواج ذكروا أنهم شعروا بعدم التواصل العاطفي مع أطفالهم على الرغم من أن مقياس الأسئلة المتعلقة بـ «الارتباط بالطفل» (WHO-TO) لم يكن مصمماً لتقييم صعوبات الارتباط. إلا أنه من المثير للاهتمام أن نلاحظ أن كل الأزواج الذين ذكروا مشاعر عدم التواصل حصلوا على درجات منخفضة على هذا المقياس في تلك الفترة نفسها. في الفصل السادس، ذكرنا عدة أمثلة عن أمهات كنَّ يعانين من عدم الشعور بالحب والمشاركة تجاه أطفالهن. يعطينا التعليق التالي من أم جديدة مثلاً آخر عن هذه الصعوبة في الانخراط مع الطفل:

أشعر وكأنني استعرتته من مكان آخر. لم أعتد عليه بعد. ربما عندما يكون سعيداً أشعر بالحب تجاهه بشكل واضح ولكن بالنسبة لي لأنه لا يبدو مثلي - هو يشبه والده - أشعر وكأنه ابنه وليس ابني، هل أدركت ما أعنيه.

بالنسبة لأزواج آخرين فإن عدم التواصل انعكس في ضعف عام في الاستجابة العاطفية للطفل، على سبيل المثال، هذا الحوار التالي بين زوج وزوجته يبين استجابة الزوج العاطفية المحدودة:

الزوج: أفضل شيء له علاقة بالأبوة؟ لا أعرف. إنه لم يعيش لفترة كافية للتعليق على هذا الأمر. إنه أمر جيد لكن لا أعتقد أنه يؤثّر في، لا أعتقد ذلك.

الزوجة: أوه عظيم؟ رائع؟

الزوج: أوه حسناً لا أعني أنني أرفضه أو شيء من هذا القبيل.

كذلك ذكر زوج آخر بوضوح أنه لم يتمكن من التفاعل عاطفياً مع طفله. من المثير للاهتمام أن عدداً من الأزواج الذين تحدثوا عن ضعف التواصل مع أطفالهم تحدثوا كيف أن هذا الوضع سيتحسن في المستقبل عندما يصبح الطفل أكثر نشاطاً وقدرة على فعل الأمور. على سبيل المثال قالت إحدى الأمهات: (من الصعب الآن، لأنه لا يفعل أي شيء، أعني، تظن أنه يبتسم ولكنها مجرد ابتسامة عابرة. أعتقد أنه بعد عدة أسابيع سيكون كل شيء على ما يرام) كذلك ذكر أحد الآباء الجدد أنه سيكون أكثر تواصلًا مع ابنته عندما تصبح أكثر حركة وتفاعلاً مع محيطها:

أعتقد أن الأمر سيكون أفضل عندما تكبر قليلاً وعندما تصبح قادرة على المشي والكلام والقيام بأمور مثل الركض في الحديقة مساعدتي في ريّ الأزهار وما إلى ذلك. مقابل هذه الأمثلة المختلفة عن عدم التواصل فإنّ بعض الآباء والأمهات تحدّثوا عن استجابات عاطفية قوية جداً مع أبنائهم. على سبيل المثال قال أحد الآباء إن «قلبه يقفز فرحاً» عندما يبتسم طفله له. وعندما يبكي هذا الطفل فإنه يشعر وكأن «قلبه يتمزق». هناك

تقرير آخر عن الاستجابة العاطفية القوية قدّمته إحدى الأمهات الجديديات. في التعليق التالي قدّمت هذه الأم وصفاً واضحاً عن شعورها بالشدّة النفسية عندما تفكّر باحتمال فراقها عن طفلها وذلك منذ اليوم الأول.

بالنسبة لي، إنها رائعة تماماً أن تكون بقربي، إنه شعور لا يمكن وصفه. لقد كانوا يحاولون إبعادها عني في المستشفى في الليلة الأولى لقد نامت معي في السرير ثم في الليلة الثانية ظلوا يحاولون إقناعي بأخذها إلى قسم الأطفال لكي أستطيع النوم. لقد فقدت ثلاثة لترات من الدم وكنت بحاجة إلى الراحة.

نلاحظ إذن أن الآباء والأمهات الجدد يختلفون بشكل كبير في استجاباتهم العاطفية. إلى حد ما، هذه الاختلافات قد تعكس اختلافات أوسع في خبرات الناس العاطفية وطريقتهم في التعبير عن عواطفهم: الأب الذي علّق قاتلاً؛ إنه لا يستطيع (التفاعل عاطفياً) مع ابنه. شرح ذلك باعتباره أنه بشكل عام (ليس ذلك النوع من الأشخاص الذين يتفاعلون عاطفياً مع الأمور) بالنسبة للأمهات وآباء آخرين فإن الاستجابات العاطفية القوية للطفل كانت تحدث في أوقات مختلفة. بعض الأمهات ذكرت أن «شعورهن بالأمومة» أصبح واضحاً بعد عدة أيام أو حتى عدة أسابيع من الولادة. التعليق التالي يمكّننا أن نرى مدى الاختلافات في الاستجابات العاطفية بين الزوجين حيث تصف إحدى الأمهات الجديديات كيف أنّ زوجها كان بشكل عام أكثر استجابة لحاجاتِ الطفل وإشاراته:

لقد كان الأمر وكأنه بداية لعبة كرة جديدة. لأنه كما نعلم نحن متزوجون منذ تسع سنوات. أي أننا مع بعضنا منذ حوالي ستة عشر عاماً. كنا مجرد شخصين ثم جاء شخص ثالث إلى المنزل. إن زوجي أكثر تعلقاً بها كما أعتقد ويبدو الأمر مضحكاً قليلاً بالنسبة لي. أحياناً نجلس في الشرفة فيقول لي «أوه إنها تبكي» ثم يقفز ويذهب لرؤيتها. أحياناً عندما نكون أمام التلفزيون يقول لي «أوه: هل هذا صوت بكائها؟».

أهمية خاصة لرابطة الارتباط: في هذه المقابلة الثانية أشار بعض الأزواج بشكل غير مباشر إلى الارتباط عندما علّقوا بشكل خاص على الروابط المتنامية بينهم وبين الطفل أو بين الزوج الآخر وبين الطفل. ذكر أحد الأزواج كيف أنه بُهر بهذه الروابط:

إنه أمر رائع. إنه أمر مذهل. الرابطة التي أستطيع رؤيتها بيني وبين الطفل وكذلك الرابطة بين زوجتي وبين الطفل. بالنسبة لي هو أمر مذهل. من الصعب وصفه لأنني لا أستطيع مقارنته بأي شيء. إنها تجربة مذهلة حقاً. إنَّ الطفل جميلٌ أعتقد أنني منحاز إليه قليلاً.

في التعليق التالي تتحدث أمٌ جديدة عن سرورها بالرابطة التي تراها بين زوجها والطفل. هذه الاستجابة تعكس جزئياً مخاوفها المبكّرة حول ما إذا كان زوجها سيُبدي استجابة عاطفية قوية للطفل: (إنه أمر لطيف أن ترى كيف يتعامل زوجي معها. إن هذا يحرك في أقوى المشاعر. لا أعتقد أن زوجي يعرف كيف

ستكون مشاعره ولا أستطيع أن أتخيل كيف سيعبر عن هذه المشاعر. لقد كنتُ محظوظةً طوال حياتي لذلك لم أشعر بالقلق، أشعر أنَّ الأمور ستكون على ما يرام ولكن لا أعرف كيف ستكون الأمور بالنسبة لزوجي).

نقطة أخيرة لها علاقة بروابط الارتباط التي برزت خلال المقابلة الثانية وهي أن شعور بعض الأمهات والآباء بأن الرابطة مع الطفل كانت أهم شيء في حياتهم.

عبر أحد الآباء الجدد عن هذا الشعور بقوله: إن أفضل شيء بالنسبة لي فيما يتعلق بالأبوة هو حقيقة أنني أصبحت أملك طفلاً الآن. هذا الأمر باعتقادي هو أفضل شيء فعلته في حياتي وكُلُّ الأمور الأخرى تدور حوله.

عبر أب آخر عن انفعالٍ مشابهٍ عندما وصف أفكاره المتعلقة بأهمية الروابط العائلية:

أعتقد أنه لا شيء أكثر أهمية في حياتي من زوجي وطفلي ولا أستطيع أن أتخيل ما أسمعه من أن بعض الناس يضربون أولادهم إنه أخطأ فعل في هذا العالم. لا أعتقد أن هناك ما هو أهم من زوجتي وطفلي في الوقت الحاضر.

خلاصة

وصفنا في هذا الفصل طريقتين للنظر إلى شخصيات الارتباط عند الأزواج: الطريقة الأولى، باعتبار تقارير الأسئلة عن

«الأشخاص الأكثر أهمية» والطريقة الثانية، باعتبار التعليقات التي وردت في المقابلة عن استجابات الأزواج العاطفية وتلك المتعلقة برعاية الأطفال. إن تقارير الأسئلة أظهرت أن قدوم الطفل الأول يُحدثُ تغييرات مهمة في شبكة الارتباط على الأقل بالنسبة للأمهات. هذه التغييرات لا تنحصر بالحقيقة الواضحة وهي أن العلاقة الزوجية تحتاج إلى التلاؤم مع الطفل الجديد بل إن قدوم هذا الطفل يؤدي إلى زيادة الاعتماد على الوالدين بوصفهما شخصيات ارتباط وانخفاض الاعتماد على الزوج وعلى الأصدقاء المقربين.

إن كلاً من الإجابات عن الأسئلة وإجابات المقابلة بينت الاختلاف الكبير في شعور الوالدين الأوّلين بالارتباط مع طفلهما. بعض الأمهات والآباء ذكروا شعوراً قوياً ومباشراً بالارتباط في حين عانى آخرون من بعض الصعوبة في الشعور بالارتباط إلى أطفالهم. بالنسبة للزوجات، كانت المستويات المنخفضة من الشعور بالقلق بسبب العلاقة مرتبطة بالميل إلى تسمية الطفل شخصية ارتباط مما يوحي بأنّ علاقة الأمهات الجديديات بأمهاتهن وآبائهن وعلاقاتهم بأطفالهن متداخلة فيما بينها.

ذكرت الأمهات والآباء الجدد شعوراً متزايداً بالارتباط مع أطفالهم أثناء تقديم الدراسة وخصوصاً فيما يتعلق بالشدة التي يسببها الافتراق. من الواضح كما يشير الاستشهاد الذي أوردناه في بداية الفصل أن قدوم الطفل الجديد يغيّر الحياة العاطفية لوالديه.